ثُلاثيَّةُ

أطْفالِ الحِجارَة



نزار قبـاني

الغلاف والرسوم الداخلية
للفنان الشهيد
ناجي العلي

ثُلاثيّةُ
أطفالِ الحِجارة

الطبعة الأولى
آذار (مارس)
١٩٨٨

منشورات نزار قباني
بيروت - لبنان
ص.ب ٦٢٥٠

نزار قباني

ثُلاثيّةُ أطفالِ الحِجارة

شِعر

مدخل

هـذه القصائـدُ الثلاثُ ، كَتَبهـا أطفالُ الحجـارة ، بأصـابعهم الصغيرة، النحيلة ، الدامية .. ولم أكتُبْها أنا . .

هُمُ الذينَ كَتَبُوا . .

وهُمُ الذين ألَّفوا ..

وهُمُ الذينَ نَزَفُوا . .

وهُمُ الذينَ أمروني ، فأطعتْ . .

وَحَرَّضوني فصرختْ . .

في كثيرٍ من الأحيان ، يتـوهَّمُ الشاعـرُ أنه سيِّدُ النصّ الـذي يكتبه ، في حين أن دورَه الحقيقيَّ في عمليّة الكتابة ، لا يتعـدَّى دورَ الممثّل الذي يعيد كلمات الملقِّن ، ودورَ الأجير الذي يطيعُ أوامرَ سيّده . . .

ولا بدَّ لنا من الاعتراف ، أنَّ أسيادَنا ، وأسيادَ الأدب العـربي في هذه المرحلة ، هم أطفال الحجارة .

فهُمُ الـذين بعثروا أوراقَنـا . . ودلَقُـوا الحبـر على ثيـابنـا . . وانتهكوا عُذْرِيَّةَ نصوصنا القديمـة . . وطردونـا من وراء مكاتبنـا المكيّفَةِ الهواء . . .

ثم لا بـدَّ لنا من الاعتـراف ـ وإن كان الاعتـرافُ موجعـاً ـ أن أطفالَ الحجارة (بهـدلونـا) . . نحنُ الكُتَّابَ العـرب الذين كنـا نتصـوَّرُ أنفسَنـا آلهــةً تمشي على الـورق . . . وملوكـاً لا تغيب الشمسُ عن قصائدهم . .

نحنُ ، لسنا في الحقيقة ، أكثرَ من ملوك من وَرَق . . كلماتُهم من وَرَق . . وأحلامُهم من وَرَق . . وقصائدُهم من وَرَق . .

أمـا الملوكُ الحقيقيّـون ، فهم هؤلاء الـذين كتبُـوا بمشتقّـات الدم . . وحبر الحرية . . وجعلوا لغةَ الحجر لغـةً دوليةً تتكلمهـا كلُّ شعوب العالم .

من هُمْ أطفالُ الحجارة ؟

ماذا فعلوا بلغتنا ، بكلامنا ، بتعابيرنا ، بمفرداتنا ، بشعرنا بنثرنا ، بذاكرتنا البلاغية ، بخطابنا الشعري اليوميّ والمألوف ؟

أهمُّ ما في أطفال الحجارة أنهم قاموا بانقلابٍ في ذاكرتنا الشعرية واللغوية والقومية والثقافية ، وأحدثوا (خَضَّةً) في دورتنا الدمويَّة .

قَبْلَهُمْ ، كُنَّا في حالة غيبوبة ، فرشُّونا بخراطيم المياه ، وأخرجونا من غرفة العناية الفائقة .

قَبْلَهُمْ ، كان الشارعُ العربيّ بارداً كالأسماك المجلَّدة .. فأعادوا إلى أطرافنا الدفءَ والحرارة ..

قَبْلَهُمْ ، كنَّا يتامى .. وجاؤوا هُمْ ، فأعطونا هويةً وانتماءً ، وأعادوا إلينا أسماءَنا العربيَّة .

*

أهمُّ ما في أطفال الحجارة:
أنَّهم حملوا إلينا المطرَ . . بعد عصورٍ من العطش.
وحملوا إلينا الشمسَ . . بعد عصورٍ من الظلام .
وحملوا إلينا الأمل . . بعد عصور من الإحباط والإنكسار .
أهمُّ ما فيهم أنهم خرجوا على (سلطتنا االأبوية) . .
وفـرُّوا من (بيت الطاعـة). . وخالفـوا أوامرنـا ووصـايـانـا ،
وقرروا أن يحكُّوا جلدهم بأظافرهم . .
أهمُّ ما فيهم ، أنهم لا يُشبهوننا ولا نُشبههم . .
ـ وهذا من حسن حظِّهم ـ وقرَّروا أن يقاتلوا على طـريقتهم ،
ويعيشوا على طريقتهم . . ويموتوا على طريقتهم . .

أهمّ ما في أطفال الحجارة :

أنّهم قلبوا الشاحنةَ التي كانت تسير بسرعة عشرة أمتار كلّ أربعين سنة . . والتي كانت تسير على حطب الصبر . واستبدلوها بطائرة كونكورد تطير على نار الغضب . . .

*

لقد ألغى أطفالُ الحجارة ، إجازات كلِّ الشعراء العرب ، وأجبروهم على أن يلبسوا الملابسَ المرقَّطَة . . ويلتحقوا بالجبهة فوراً . . .

أنا شخصياً ، قطعتُ إجازتي في سويسرا ، والتحقتُ بصفوفهم .

لم يكن عندي خيارٌ آخر . .
كانَ عليَّ أن أكونَ معهم .
أو أن أكونَ ضدَّ الشعر . .

*

إن الحجر الفلسطينيّ نسفَ إمارة الشعر من جذورها ، وصار هو أميرَ الشعراء بلا منازع .

فالحجر الفلسطيني لم يكسر زجاجَ البيت الإسرائيلي فقط . . وإنما كسر أيضاً زجاجَ القصيدة العربية ، ووضعها أمام الأمر الواقع ، وغيَّر هويّتها ، وخصائصها ، وملامحها الخارجية والداخلية .

*

إنني أعتقد أن أطفال الحجارة ، نقلوا الشعر العربي من حالٍ إلى حال ، ومن مرحلة إلى مرحلة .

كما أعتقد أنهم أدخلوا الشعر العربي إلى حداثةٍ من نوعٍ جديد ، هي حداثة المعاناة والواقعية الثورية ، لا حداثة الغموض، والتغريب ، والدهاليز الباطنيّة .

وهكذا . . . أسقط أطفال الحجارة - من جملة ما أسقطوا - الخطابَ الشعري القديم ، إلى جانب الخطاب السياسي القديم ، وفتحوا أمامنا أبوابَ الثورة . . والحرية . . والحداثة على مصراعيها .

جنيف ١٠ آذار (مارس) ١٩٨٨

أطفالُ الحِجارة

١

بَهَرُوا الدُّنْيَا
وما في يَدِهِمْ إلاَّ الحِجَارَهْ . .
وأَضَاؤوا كالقناديلِ ،
وجاؤوا كالبِشَارَهْ .
قَاوَمُوا . .
وانْفَجَرُوا . .
وَاسْتُشْهِدُوا . .
وبقينا دُبَباً قُطْبِيَّةً
صُفِّحَتْ أجسادُها ضِدَّ الحَرَارَهْ

٢

قاتلُوا عنَّا . .

إلى أنْ قُتِلُوا .

وبقينا في مقاهينا

كبَصَّاقِ المَحَارَهْ . . .

واحدٌ . .

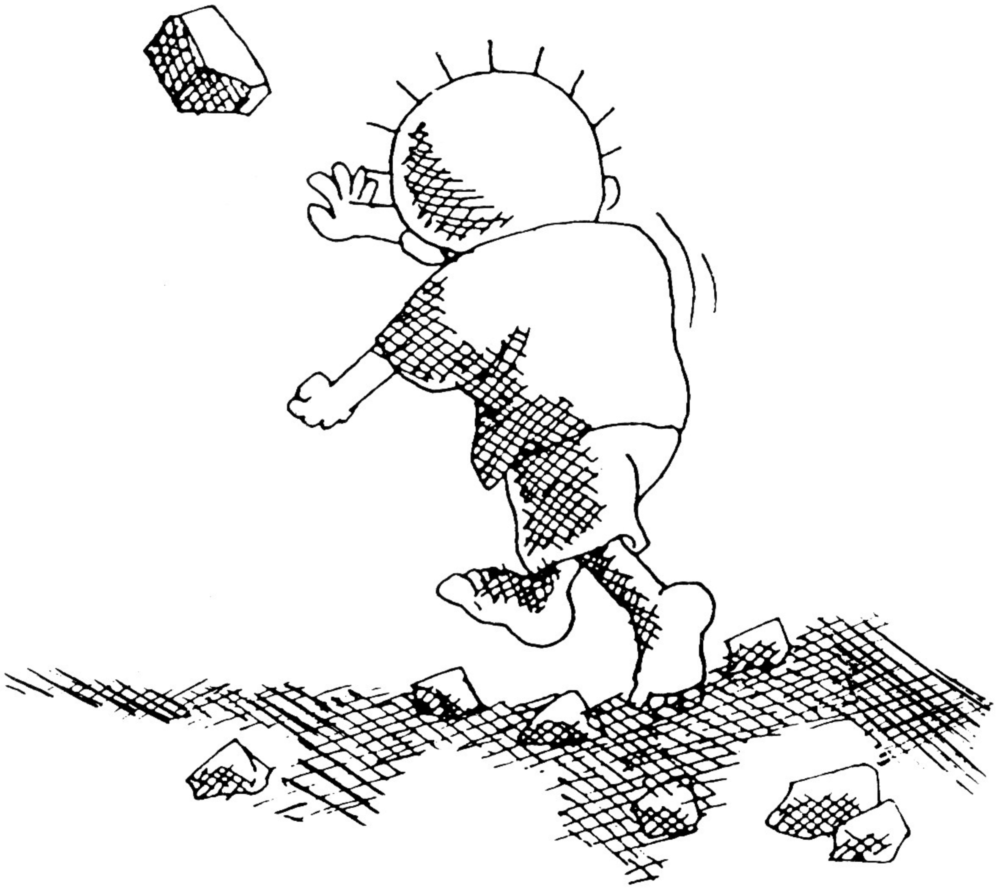
يبحثُ منَّا عن تجارَهْ

واحدٌ . .

يطلبُ ملياراً جديداً

وزواجاً رابعاً . .

ونُهُوداً صَقَلَتْهُنَّ الحَضَارَهْ . .



واحدٌ . .
يبحثُ في لندنَ عن قصرٍ مُنيفٍ
واحدٌ . .
يعملُ سِمْسَارَ سلاحٍ . .
واحدٌ . .
يطلبُ في (الباراتِ) ثارَهْ . .
واحدٌ . .
يبحثُ عن عَرْشٍ . . وجيشٍ . .
وإمَارَهْ . .

*

٣

آهِ . . يا جيلَ الخياناتِ . .

ويا جيلَ العُمُولاتِ . .

ويا جيلَ النِفَاياتِ . .

ويا جيلَ الدَعَارَهْ . .

سوفَ يجتاحُكَ ـ مهما أبْطَأَ التاريخُ ـ

أطفالُ الحجارَهْ . . .

الغاضبون

يا تلاميذَ غَزَّةٍ . . .
عَلِّمُونا . .
بعضَ ما عندكمْ
فنحنُ نسينَا . . .

عَلِّمُونَا . .
بأن نكونَ رجالاً
فلدينا الرجالُ . .
صارُوا عجينَا . .

عَلِّمُونا . .
كيفَ الحجارةُ تغدُو
بين أيدي الأطفالِ ،
ماساً ثمينَا . .

كيف تغدُو
دَرَّاجةُ الطفلِ ، لُغْماً
وشريطُ الحريرِ . .
يغدو كمينَا . .

كيف مَصَّاصةُ الحليبِ . .
إذا ما اعتقلُوها
تحوَّلَتْ سِكّينَا . . . .



يا تلاميذَ غَزَّةٍ
لا تُبَالوا . .
بإذاعاتنا . .
ولا تسمَعُونَا . .

إضْرِبُوا . .
إضْرِبُوا . . .
بكلِّ قواكُمْ
واحْزِمُوا أمرَكُمْ
ولا تسألُونَا . .

نحنُ أهلُ الحسابِ . .
والجَمْعِ . .
والطَرْحِ . .
فخوضُوا حُرُوبَكُمْ
واتْركُونا . .

إنَّنا الهاربونَ
من خدمة الجَيْشِ ،
فهاتُوا حبالَكُمْ
واشْنُقُونَا . . .

نحنُ مَوْتَىٰ . .
لا يملِكُونَ ضريحاً
وَيَتامَى . .
لا يَملِكُونَ عُيُونَا

قد لزمنا حُجُورَنا . .
وطلبنا منكُمُ
أن تقاتلوا التِنِّينَا . .

قد صغُرْنا ، أمامكمْ
ألفَ قرنٍ . .
وكبُرْتُمْ
ـ خلالَ شهرٍ ـ قُرُونَا . .

يا تلاميذَ غَزَّةٍ . .
لا تَعودُوا . .
لكتاباتِنا . . ولا تقرأُونَا

نحنُ آباؤكُمْ . .
فلا تُشْبِهُونَا . .
نحنُ أصنامُكُمْ .
فلا تعبُدُونَا . .

نتعاطى
القاتَ السياسيَّ . .
والقَمْعَ . .
ونَبْني مقابراً . .
وسُجُونَا . .

حَرِّرُونا . .
من عُقْدة الخوف فينا . .
واطرُدُوا
من رؤوسِنَا الأفْيُونا . .

عَلِّمُونا . .
فَنَّ التشبُّثِ بالأرضِ ،
وَلا تتركُوا . .
المسيحَ حزينا . .



يا أحبَّاءَنا الصغارَ . .
سلاماً . .
جعلَ اللَّهُ يومَكُمْ
ياسَمينَا . . .

من شُقُوق الأرض الخرابِ
طلعتُمْ
وزَرَعتُمْ جراحَنا
نِسْرينَا . .

هذه ثورةُ الدفاترِ . .
والحبْرِ . .
فَكُونوا على الشفاهِ
لُحُونَا . .



أمْطِرُونَا . .
بطولةً ، وشُمُوخاً
واغْسِلُونا من قُبْحِنَا
إغْسِلُونَا . .

لا تَخافُوا مُوسَىٰ . .
ولا سِحْرَ موسَىٰ . .
واسْتَعِدُّوا
لتقطُفُوا الزيتُونَا

إنَّ هذا العصرَ اليهوديَّ
وهْمٌ . .
سوفَ ينهارُ . .
لو ملكنا اليقينَا . . .



يا مجانينَ غَزَّةٍ . .
ألفُ أهلاً . . .

بالمجانينِ ،
إنْ هُمُ حَرَّرُونَا

إنَّ عصرَ العقل السياسيِّ . .
وَلَّى من زمانٍ . . .
فَعلِّمُونا الجُنُونَا . . .

دكتوراه شرف
في كيمياء الحجر

١

يرمي حَجَراً . .
أو حَجَرينْ .
يقطعُ أفعى إسرائيلَ إلى نصْفَيْنْ .
يمضغُ لَحْمَ الدبَّاباتِ،
ويأتينا . .
من غير يَدَينْ .

في لَحظَاتٍ . .
تظهرُ أرضٌ فوق الغَيْمِ ،
ويولَدُ وَطَنٌ في العَيْنَيْنْ .

في لَحظَاتٍ . .
تظهرُ حيفا .
تظهرُ يافا .
تأتي غَزَّةُ في أمواج البحرِ .
تُضيءُ القُدْسُ ،
كمِئْذَنَةٍ بين الشَفَتَيْنْ . .



٢

يرسُمُ فَرَساً . .
من يافوت الفجرِ . .
ويدخُلُ . .
كالإسكندرِ ذي القَرْنَينْ .
يخلعُ أبوابَ التاريخِ ،
ويُنْهي عصرَ الحَشّاشينَ ،
ويُقْفِلُ سوقَ القَوّادِينَ ،
ويقطعُ أيدي المرتزقِينَ ،
ويُلقي تِرْكَةَ أهلِ الكَهْفِ ،
عن الكتِفَينْ . . .

في لَحَظاتٍ . .
تحبلُ أشجارُ الزيتُونِ ،
يَدُرُّ حليبٌ في الثَدْيَينْ . .
يرسُمُ أرضاً في طَبَريَّا
يزرعُ فيها سُنْبُلَتينْ
يرسُمُ بيتاً فوق الكرْمِلِ ،
يرسُمُ أُمَّاً . . تطحنُ بُنَّاً عند البابِ ،
وفِنْجَانَينْ . . .
في لَحَظاتٍ . . تهجُمُ رائحةُ الليمونِ ،
ويُولَدُ وطنٌ في العينينْ

٣

يرمي قَمَراً من عينَيْهِ السَوْدَاوَيْنِ ،
وقد يرمي قَمَرَينْ . .
يرمي قَلَماً .
يرمي كُتُباً .
يرمي حِبْراً .
يرمي صَمْغَاً .
يرمي كرَّاسَاتِ الرَسْمِ ،
وفُرْشَاةَ الألوانْ
تصرخُ مريمُ : «يا وَلَداهُ . . » .
وتأخُذُهُ بينَ الأحضَانْ .

يسقُطُ وَلَدٌ .

في لَحَظاتٍ . .
يُولَدُ آلافُ الصِبْيَانْ
يُكْسَفُ قَمَرٌ غزَّاويٌّ

في لحظاتٍ . . .
يطلعُ قَمَرٌ من بيسَانْ
يدخُلُ وَطَنٌ للزَنْزَانةِ ،
يُولَدُ وَطَنٌ في العَينَيْنْ . .

٤

يَنفضُ عن نَعْلَيْهِ الرَمْلَ . .

ويدخُلُ في مملكة الماءْ.

يفتحُ أُفُقاً آخَرَ .

يُبْدِعُ زمناً آخرَ.

يكتُبُ نَصّاً آخَرَ.

يكسر ذاكرةَ الصحراءْ .

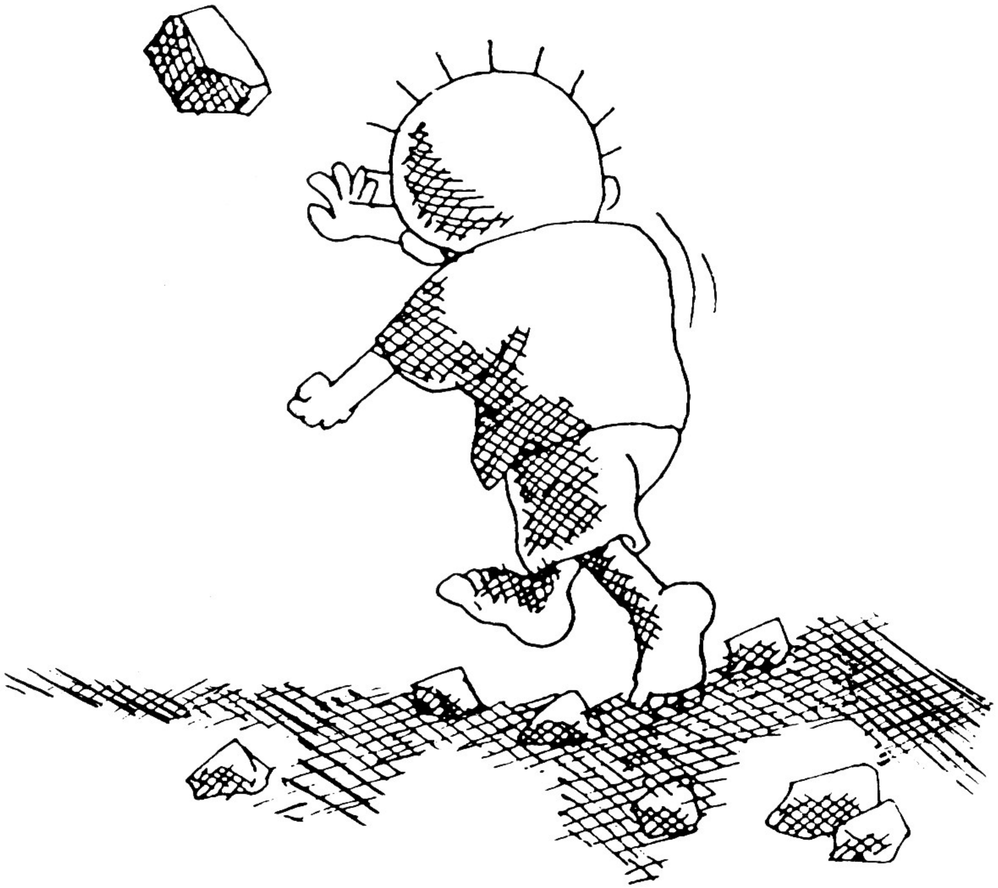
يقتلُ لغَةً مُسْتَهْلَكَةً

منذ الهمزة. . حتى الياءْ. .

يفتحُ ثقباً في القاموسِ ،

ويعلنُ موتَ النَحو . . وموتَ الصَرْفِ . .

وموتَ قصائدنا العَصْمَاءْ . .



٥

يرمي حَجَراً.
يبدأُ وجهُ فلسطينٍ
يَتَشَكَّلُ مثلَ قصيدة شِعْرْ . .
يرمي الحَجَرَ الثاني
تطفُو عكًّا فوق الماء قصيدةَ شِعرْ
يرمي الحَجَر الثالثَ
تطلعُ رامَ الله بنَفْسَجةً من ليل القهرْ
يرمي الحَجَر العاشرَ
حتى يظهرَ وجهُ اللَّهِ . .
ويظهرَ نورُ الفجرْ . .



يرمي حَجَرَ الثورة
حتَّى يسقطَ آخرُ فاشِسْتيّ ٍ
من فاشِسْتِ العصرْ
يرمي . .
يرمي . .
يرمي . .
حتى يقلَعَ نَجْمةَ داوُودٍ
بيَدَيْهِ ،
ويرميها في البحرْ . .



٦

تسألُ عنه الصُحُفُ الكُبْرَى :
أيُّ نبيٍّ هذا القادمُ من كنعانْ ؟
أيُّ صَبيٍّ ؟
هذا الخارجُ من رَحِمِ الأحزانْ ؟
أيُّ نَباتٍ أسطوريٍّ
هذا الطالعُ من بين الجدرانْ ؟
أيُّ نُهُورٍ من ياقُوتٍ
فاضَتْ من وَرَق القُرآنْ . ؟

يسألُ عنهُ العرَّافُونَ .
ويسألُ عنه الصوفيُّونَ.
ويسأل عنه البُوذيُّونَ .
ويسألُ عنهُ ملوكُ الإنْسِ ،
ويسألُ عنهُ ملوكُ الجَانْ .
مَنْ هُوَ هذا الوَلَدُ الطالعُ
مثلَ الخَوْخِ الأحمرِ . .
من شَجَر النِسْيَانْ ؟

مَنْ هُوَ هذا الوَلَدُ الطافشُ
من صُوَر الأجدادِ . .
ومن كَذِبِ الأحفادِ . .
ومن سِرْوَال بني قَحْطَانْ ؟
مَنْ هو هذا الولدُ الباحثُ
عن أزْهَار الحُبِّ . .
وعن شَمْسِ الإنسانْ ؟
من هو هذا الوَلَدُ المشْتَعِلُ العينَيْنِ . .
كآلهةِ اليُونَانْ ؟



٧

يسألُ عنهُ المضْطَهَدُونَ .

ويسألُ عنه المقْمُوعُونَ .

ويسألُ عنه المنفيُّونَ .

وتسأَلُ عنه عصافيرٌ خَلْفَ القُضْبَانْ .

مَنْ هُوَ هذا الآتي . .

من أوجاعِ الشَمْع . .

ومن كُتُبِ الرُهْبَانْ ؟

مَن هو هذا الوَلَدُ
الْتَبْدَأُ في عَيْنَيهِ . .
بداياتُ الأكوانْ ؟
مَنْ هُوَ ؟
هذا الولَدُ الزارعُ
قَمْحَ الثورةِ. . .
في كُلِّ مكانْ ؟؟

٨

يكتُبُ عنه القَصَصيُّونَ ،
ويروي قصَّتَهُ الرُّكْبَانْ .
مَنْ هُوَ هذا الطفلُ الهاربُ من شللِ الأطفالِ ،
ومن سُوسِ الكَلِمَاتْ ؟
من هُوَ؟
هذا الطافشُ من مَزْبَلةِ الصبرِ . .
ومن لُغَةِ الأمواتْ ؟ . .
تسألُ صُحُفُ العالمِ ،
كيفَ صبيٌّ مثلَ الوردةِ . . .
يمحو العالَمَ بالمِمْحَاةْ؟؟ .

تسألُ صُحُفٌ من أمْريكَا
كيف صَبيٌّ غزّاويٌّ ،
حيفاويٌّ ،
عَكّاويٌّ ،
نابُلْسيٌّ ،
يقلبُ شاحنةَ التاريخِ ،
ويكسِرُ بلّلورَ التَوْراةْ ؟؟ . . .

منشورات نزار قباني
بيروت - لبنان
ص.ب ٦٢٥٠



منشورات نزار قباني
بيروت - لبنان
ص.ب ٦٢٥٠